الاستشراف النبوي في الجانب السياسي وأثره في تفعيل التخطيط الاستراتيجي في فكر القيادة الإسلامية

د. أحمد سلمان عبيد المحمدي
دكتوراه فلسفة تخصص " فكر إسلامي "
تدريسي في كلية الإمام الأعظم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين: وبعد:

فإن الاستشراف من العلوم الجليلة ؛ وذلك لأن الاستشراف النبوي فيه استطلاع للأمور الغيبية، وإخبارها للأمة على لسان النبي الصادق المصدوق ﷺ، وإن بعض الاستشرافات قد تحققت فعلا، وبعضها بدأت علامات حدوثه بالظهور، وننتظر حدوث قسم آخر منها مستقبلاً.

وبناءً على ما تقدم، فإنه ينبغي على دوائر صنع القرار السياسي، وكذا دوائر الاستخبارات، ومراكز الأبحاث المهتمة بالأبحاث المستقبلية، والمؤسسات المعنية بالتخطيط الاستراتيجي (البعيد المدى) في الدول الإسلامية أن تستفيد من الاستشراف النبوي للتحسب للمستجدات التي ستحصل، والاحتياط للمستقبل، فالاستشراف: هو أدق من دوائر الرصد الزلزالي التي تنبئ بحدوث الكوارث والزلازل وغيرها، وقد قسمت بحثي الموسوم:

((الاستشراف النبوي في الجانب السياسي وأثره في تفعيل التخطيط الاستراتيجي في فكر القيادة الإسلامية))

إلى تمهيد ومطلبين وخاتمة:

تناولت في التمهيد تعريف الاستشراف لغةً واصطلاحاً وبشكل موجز.

ودرست في المطلب الأول: الاستشراف النبوي للخريطة السياسية المستقبلية للعالم. حيث تناولت فيه استشراف النبي ﷺ للخط الدفاعي الأول لخريطة العالم الإسلامي، واستشرافه ﷺ لانهيار إمبراطورية فارس وإمبراطورية الروم في الشرق، وانضمام ممالكهما إلى خريطة بلاد المسلمين، وتناولت الاستشراف النبوي لمستقبل بعض العواصم السياسية المهمة: كالاستشراف النبوي لفتح القسطنطينية: " مدينة اسطنبول التركية حاليا " وكالاستشراف النبوي لفتح روما عاصمة إيطاليا، والاستشراف النبوي لفتح المدائن في العراق، والاستشراف النبوي للوضع السياسي الحالي للقارة الأوربية، والاستشراف النبوي لمؤسسة الحكم وطبيعة الأمن المجتمعي فيها، والاستشراف النبوي لحالة التنافس الشديد على المناصب والمغانم الذي سيحل بالأمة (الانتهازية السياسية).

أما المطلب الثاني: فقد تناولت فيه الاستشراف النبوي للتحديات السياسية المعاصرة التي يمر بها العالم الإسلامي: منها الاستشراف النبوي للهجمة الغربية على العالم الإسلامي، والاستشراف النبوي لحال الأمة وما تمر به من فتن سياسية، والاستشراف النبوي لصفات بعض القادة السياسيين عند وقوع الفتن، واستشراف النبي ﷺ لحال العالم العربي في الوقت الحاضر، والاستشراف النبوي للمحن والصعوبات والحروب التي ستواجه العالم الإسلامي، والاستشراف النبوي للحصار الذي سيصيب العراق وبلاد الشام، والاستشراف النبوي لكثرة الأموال والضعف في التدبير والإدارة، والاستشراف بانحسار نهر الفرات عن كنز من ذهب، والاستشراف النبوي لصراع الدول الإسلامية مع إسرائيل، والاستشراف بظهور قائد سياسي عربي يتصف بالقوة والبطش، والاستشراف النبوي لحالة الاقتتال الداخلي بين بعض الجماعات الإسلامية، والاستشراف النبوي لحالة التبعية الفكرية والسياسية للأجنبي، والاستشراف النبوي للانفتاح السياسي والاقتصادي في جزيرة العرب، الاستشراف النبوي لحالة التباهي بالمساجد والأبعاد السياسية المعاصرة لذلك، وختمت بالاستشراف لحالة اختلال الموازين وحيرة الحليم التي هي أبرز معالم المرحلة الراهنة التي نعيشها.

وفي هذا المقام أود تسجيل الملاحظات الآتية:-

الملاحظ الأولى: هي إن بعض الاستشرافات النبوية قد وقعت فعلا، كما إننا ننتظر البعض الآخر من الاستشرافات التي ستتحقق مستقبلا، مثل: فتح روما عاصمة ايطاليا، وظهور الملك القحطاني الذي يتصف بالقوة والبطش، وكذا نضوب نهر الفرات وظهور الكنوز الثمينة منه، وغير ذلك من الاستشرافات النبوية التي ننتظر وقوعها في الأيام والسنين المقبلة.

الملاحظة الثانية: إن دراسة الاستشراف النبوي يُمكّن الأمة من التحسب للأمور التي ستحدث قبل وقوعها ؛ وذلك انطلاقا من الإرشاد والتوجيه النبوي، ثم إن مصطلح الاستشراف بحد ذاته يعد مصطلحا حديثيا دقيقا له أبعاده الفكرية والعقائدية، حيث ورد في صحيح البخاري لفظ " أشرف " في سياق الاستشراف النبوي لظهور الفتن والمحن التي ستبتلى بها الأمة، ومعلوم أن لفظ " الاستشراف" أحد اشتقاقات الفعل " أشرف" ؛ وذلك لما رواه أسامة ﷺ قال: ((أشرف النبي ﷺ على أطم من الآطام، فقال: هل ترون ما أرى؟ إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر)) [1]، فالاستشراف أبعد مدى من النبوءة من حيث المدى المستقبلي المصحوب بالدقة، والوجل على مستقبل الأمة، والتحذير من الوقوع في المهالك.

الملاحظة الثالثة: إن بعض الاستشرافات النبوية المستقبلية هي عبارة عن أمارات صغرى لقيام الساعة مثل: كثرة القتل وسفك الدماء، وحدة الاضطرابات السياسية، وحيرة الحليم، وتفشي الربا، وضعف الأمانة في قلوب الرجال، واختلال الأمن المجتمعي حتى لا يأمن المرء على نفسه وهو داخل وطنه، وشعور المؤمن بالغربة في ديار الإسلام، وزخرفة المساجد، واتخاذها مكانا للحديث والسمر وغيرها من الإغراض الدنيوية التي تُبعد المسجد عن الجو الروحي والتعبدي، الذي ينبغي أن تكون عليه المساجد، كما كانت في الأيام الخوالي من صدر هذه الأمة، هذا بالإضافة إلى الاستشراف النبوي للمحن والتحديات السياسية المعاصرة التي يمر بها العالم الإسلامي.

والله أسأل أن يوفقنا لكل ما هو خير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

تمهيد

قبل أن أتناول موضوع البحث بالدراسة أرى من المناسب بيان تعريف الاستشراف من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية وبشكل موجز:

أولا: تعريف الاستشراف لغةً:

من المعلوم أن الجذر اللغوي لأية مفردة من مفردات اللغة العربية يأتي بمعان ودلالات متعددة، قد تكون متقاربة من حيث الدلالة، وقد تتباعد أحيانا، ومن خلال النظر في المعاجم وكتب اللغة تبين أن " الاستشراف " يأتي بمعان من أبرزها ما يأتي:

– الاستشراف: هو إمعان النظر، يقال: استشرفت إبلهم، إذا تعينتها؛ لتصيبها بالعين، والأصل فيه: وضع يدك على حاجبك كي لا تمنعك الشمس من النظر، قال أبو منصور الهروي: الاستشراف هو أن تضع يدك على حاجبك: كالذي يستظل من الشمس حتى يستبين الشيء[٢]، وفي هذا الصدد يبين الثعالبي أنواع النظر بقوله: إذا نظر إنسان إلى قوم في الشمس، فألصق حرف كفه بجبهته، فهو الاستكفاف، فإن زاد في رفع كفه عن الجبهة، فهو الاستشفاف، فإن كان أرفع من ذلك قليلا، فهو الاستشراف. [٣]

– والاستشراف: مأخوذ من الشَرَف، وهو المكان المرتفع، والعرب تقول: أشرفت عليه: أي اطلعت عليه من فوق، وذلك الموضع مشرف[٤]، ومشارف الأرض: أعاليها، وشارفت الشيء: أي أشرفت عليه من مكان مرتفع، فإن من أراد أن يطلع على شيء أشرف عليه: أي اطلع عليه من فوق. [٥]

– الاستشراف: هو الفحص والاستكشاف والتحري، وهو مأخوذ من قولهم: استشراف العين والأذن: أي أن تطلبهما شريفتين بالتمام والسلامة. [٦]

– الاستشراف: هو النظرة البعيدة إلى الأمور المستقبلية، كذا أشار إليه الجوهري، وهو مأخوذ من قولهم: أذن شرفاء: أي " طويلة "، والمستشرف من الخيل: العظيم الطويل، قال الخليل: سهم شارف: دقيق طويل، فيصبح الاستشراف هو التفكير والنظر الدقيق الطويل المدى [٧].

وفي ضوء ما تقدم: فإنه يلاحظ أن المعاني الآنف ذكرها تصب في المعنى الاصطلاحي للاستشراف فهي من حيث النتيجة لا تناقض بينها من حيث الدلالة الاصطلاحية على مصطلح الاستشراف.

ثانيا: تعريف الاستشراف اصطلاحاً:

يستعمل مصطلح الاستشراف عند الدارسين كل حسب تخصصه واستعماله، فأهل الفقه لهم تعريفهم، كما إن المتخصصين بالفكر الإسلامي والدراسات المستقبلية لهم تعريفهم، وفيما يأتي بيان ذلك:-

تعريف الاستشراف عند الفقهاء:

- هو التطلع إلى الشيء، من خلال استشرافه وفحصه والنظر فيه، كما في استشراف الأضحية [٨]، والأصل في ذلك مأخوذ من الحديث النبوي الشريف الذي يأمر باستشراف الأضحية، فعن علي بن أبي طالب ﷺقال: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن، وأن لا نضحي بمقابلة، ولا مدابرة، ولا شرقاء، ولا خرقاء[٩])) [١٠].

- الاستشراف: هو التطلع إلى الشئ سواء رافقه تعرض لسؤاله أم لا [١١].

تعريف الاستشراف عند المتخصصين بالفكر الإسلامي والدراسات المستقبلية:

- الاستشراف: هو استطلاع حاجات المجتمع، وتشوف حركته نحو المستقبل [١٢].

- أو هو النظر والتنبؤ بحدوث الأشياء قبل وقوعها بشارةً أو تحذيراً ؛ لأخذ زمام المبادرة، والاحتياط للمستجدات، ومعرفة سبل النجاة والخلاص.

- أو هو الإخبار عن الأحداث المستقبلية والأمور الغيبية التي سوف تواجه الأمة في قادم أيامها قبل وقوعها [١٣].

المطلب الأول

الاستشراف النبوي للخريطة السياسية المستقبلية للعالم

أما فيما يتعلق بالاستشراف النبوي للخريطة السياسية المستقبلية للعالم، فقد حظيت السنة النبوية بنصيب وافر من الاستشرافات المستقبلية للخريطة السياسية للعالم بشكل عام والإسلامي بشكل خاص، فقد رسم المصطفى ﷺ من خلال أحاديثه الكريمة صورة للحدود السياسية للعالم الإسلامي قبل انطلاق حركة الفتح الإسلامي، والعظيم في الأمر أن تلك الاستشرافات صدرت من النبي ﷺ في أحلك المواقف ؛ ليبين للصحابة أن حدود دولتهم آنذاك " المدينة المنورة " ما هي إلا حدود مؤقتة، وإن أمامهم فضاءً واسعاً يمتد من شرق الأرض إلى غربها، وفيما يأتي بيان لبعض المواطن والشواهد التي استشرف بها النبي ﷺ خريطة العالم الإسلامي السياسية:-

أولا: الرسول ﷺ يستشرف الخط الدفاعي الأول لخريطة العالم الإسلامي:

ويتمثل ذلك في الشام والعراق واليمن، إذ أنها الخط الدفاعي الأول لجزيرة العرب، واللافت أن النبي ﷺ ذكّر الصحابة ﷺ بهذا الاستشراف العظيم إبان غزوة الخندق [١٤]، وهي من الغزوات التي واجه المسلمون فيها صعوبات شديدة للغاية، فعن البراء ابن عازب ﷺ قال: ((أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرضت لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، قال: عوف وأحسبه، قال: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول، فقال: بسم الله، فضرب حصول، فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب أخرى، فكسرت ثلث الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب حصول أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)) [١٥].

أثر هذا الاستشراف في تفعيل التخطيط الاستراتيجي في فكر القيادة الإسلامية

ويستفاد من ما تقدم: أن النبي ﷺ يريد تربية الصحابة على التخطيط الإستشرافي المستقبلي، حتى في أحلك الظروف وأشدها ضراوة، فمن خلال هذا الحديث نتعرف على مدى عمق النظرة الاستشرافية المستقبلية التي كان ينظر إليها النبي ﷺ، فالحديث لا يقتصر مداه إلى رفع معنويات الجنود المحاصرين، المنهكين من تعب الحفر، وحصار العدو، وإشاعات المنافقين ژڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ [١٦]، ولكن يريد صناعة القادة الميدانيين من رحم المعاناة، وبث التفكير البعيد المدى في أفكارهم، وتفهيمهم إلى أن الهدف الذي يجاهدون من أجله أكبر من حدود المدينة الجغرافية التي يدافعون عنها، فهو يمتد إلى كل بقعة يمكن أن يصلها المسلمون، إذ إن التخطيط الدفاعي عن المدينة المنورة لا ينحصر بأسوارها، وإنما تمتد الخطة الدفاعية الشاملة لتشمل: العراق، والشام، واليمن.

ثانيا: النبي ﷺ يستشرف انهيار إمبراطورية فارس وإمبراطورية الروم في الشرق وانضمام ممالكهما إلى خريطة بلاد المسلمين:

ومن الاستشرافات النبوية استشرفه عليه الصلاة والسلام بتغير الخريطة السياسية للعالم آنذاك، ويتمثل ذلك بانهيار الإمبراطوريتين العظميتين اللتين كانتا تسيطران على العالم، وهما الإمبراطورية الفارسية، والإمبراطورية الرومانية، ويعد هذا الاستشراف استشرافا عظيما ؛ لأنه لم يكن أحد من العرب في الجاهلية يجرؤ أن يهاجم هذه الإمبراطوريات فضلا عن التفكير بزوالها وضمها إلى خريطة العالم الإسلامي، وهكذا تأتي البشارة النبوية العظمى المبشرة بهذا الحدث السياسي الكبير قبل وقوعه، فعن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله)) [١٧].

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: كسرى بكسر الكاف، ويجوز الفتح، وهو لقب لكل من ولي مملكة الفرس، وقيصر لقب لكل من ولي مملكة الروم... وقد استشكل هذا مع بقاء مملكة الفرس ؛ لأن آخرهم قتل في زمان عثمان، واستشكل أيضا مع بقاء مملكة الروم، وأجيب عن ذلك بأن المراد: لا يبقى كسرى بالعراق، ولا قيصر بالشام، وهذا منقول عن

الشافعي، قال: وسبب الحديث أن قريشا كانوا يأتون الشام والعراق تجارا فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام، فقال النبي ﷺ ذلك لهم ؛ تطييبا لقلوبهم، وتبشيرا لهم بأن ملكهما سيزول عن الإقليمين المذكورين، وقيل الحكمة في أن قيصر بقي ملكه، وإنما ارتفع من الشام وما والاها، وكسرى ذهب ملكه أصلا ورأسا أن قيصر لما جاءه كتاب النبي ﷺ قَبِلَه وكاد أن يسلم، وكسرى لما أتاه كتاب النبي ﷺ مزقه فدعا النبي ﷺ أن يمزق ملكه كل ممزق)[١٨].

وبناءً على هذا التفسير – أعني الأخير – فإنه ينجلي لنا استشراف نبوي آخر يحويه الهدي النبوي، وهو أن ملك الفرس زال بالكلية ولم يبق له أثر يذكر، أما ملك الروم، فإنه زال عن بلاد الشام فقط، وانكفأ إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط، وسبب زوال ملك الفرس تماما ؛ لأنهم أصابتهم دعوة المصطفى ﷺ حيث دعا النبي ﷺ على كسرى لما مزق كتابه بقوله: ((اللهم مزق ملكه)) [١٩]، فلم يبق للأكاسرة ملك، وقال في قيصر: ((اللهم ثبت ملكه)) [٢٠] قال الطبراني: فثبت له ملك ببلاد الروم إلى اليوم، وتنحى ملكه عن الشام، وقال الشافعي: وكل هذا موثق يصدق بعضه بعضا.[٢١]

ويستجلي الإمام الخطابي الأهمية الإستراتيجية، والمكانة العظيمة التي لبلاد الشام في نفوس الروم وقياصرتهم حيث يقول: (ومعنى " فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك "، وذلك أنه كان بالشام، وبها بيت المقدس الذي لا يتم للنصارى نسك إلا به، ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سرا وإما جهرا، فانجلى عنها قيصر، واستفتحت خزائنه، ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعده) [٢٢].

وبالجملة: وعلى كل تقدير، فالمراد من الحديث وقع لا محالة ؛ لأنهما لم تبق مملكتها على الوجه الذي كان في زمن النبي ﷺ[٢٣].

أثر هذا الاستشراف في تفعيل التخطيط الاستراتيجي في فكر القيادة الإسلامية:

من خلال التتبع والاستقراء في الاستشرافات النبوية المتعلقة بالفتوحات الإسلامية، ومن خلال النظر في منهج النبي ﷺ، وصحابته الكرام ﷺ في ميدان الفتح، فإنه يثبت بالدليل القاطع أن الهدف من الانتشار الإسلامي داخل الجزيرة العربية وخارجها كانت الغاية منه هداية

الأمم والشعوب، وليس طلب السلطة والجاه، والاستيلاء على المناصب والمكاسب الدنيوية من خلال التوسع الجغرافي.

وإن المتأمل في أولويات الإستراتيجية التي انتهجها الصحابة الفاتحون الأوائل، ولاسيما الخليفة الصديق ﷺ، والفاروق عمر بن الخطاب ﷺ " الذي انهارت في عهده الإمبراطورية الفارسية، وقوضت أركان الإمبراطورية الرومانية "، يلاحظ أن من أولويات الخليفة الصديق ﷺ تثبيت دعائم الدولة من خلال القضاء على المرتدين وحركات التمرد في شبه الجزيرة العربية، ومن ثم الاتجاه إلى الفتوحات الكبرى خارج الجزيرة العربية، وانطلاقاً من الاستشراف النبوي لفتح هذه الإمبراطوريات نجد أن وفاة الصديق ﷺ لم توقف مسيرة الفتح الإسلامي بل استمرت الفتوحات في عهد الفاروق ﷺ، وبلغت أوج عظمتها، وكل ذلك من آثار الاستشراف النبوي حيث ساهم في تفعيل التخطيط الاستراتيجي في فكر الخلفاء الراشدين، والقادة الفاتحين من بعدهم.

ومما تجدر الإشارة إليه: هو أن الفتوحات التي حدثت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ كانت من الأمور التي استشرفها النبي ﷺ بالرؤيا التي رآها في نومه عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((بينا أنا نائم رأيتني على قليب [٢٤] عليها دلو، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غرباً، فأخذها بن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن[٢٥])) [٢٦]

قال المباركفوري: (قد يكون فيه إشارة إلى قلة الفتوح في زمان أبي بكر ﷺ وهذا أمر لا صنع له فيه ؛ لأن سببه قصر مدته، فمعنى المغفرة له رفع الملامة عنه) [٢٧].

ثالثا: الاستشراف النبوي لمستقبل بعض العواصم السياسية المهمة:

١- الاستشراف النبوي لفتح القسطنطينية: " مدينة اسطنبول التركية حاليا "

والقسطنطينية: بضم القاف وسكون السين وفتح الطاء وسكون النون وكسر الطاء الثانية: هي أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين الملك، وهو أول من تنصر من ملوك الروم [٢٨].

وقد استشرف النبي ﷺ فتحها، ومدح الأمير الذي يقوم بفتحها، والجيش الذي يدك حصونها، فعن عبد الله بن بشر الخثعمي، عن أبيه رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)) (٢٩).

وتمتاز هذه المدينة بموقع استراتيجي مهم ؛ ولذلك حاول كثير من خلفاء المسلمين فتحها، لأهميتها وموقعها الممتاز هذا.

أثر هذا الاستشراف في تفعيل التخطيط الاستراتيجي في فكر القيادة الإسلامية:

لقد حفز هذا الاستشراف إمكانيات القادة، وفجّر طاقاتهم، وظهر قادة ملهمون ومندفعون نحو الفضيلة، فكانت مقصدا وهدفا لكل القادة الفاتحين ؛ لكي ينالوا الفضل والشرف الذي جعله هذا الاستشراف والتشريف النبوي.

وقد سعى كثير من القادة إلى فتحها، فقد حاول المسلمون فتحها تحت قيادة معاوية ﷺ، وقد استشهد الصحابي أبو أيوب الأنصاري ﷺ تحت أسوارها، فما إن تمت فتوح الشام في العهدين الميمونين للخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى وجه الخليفة الثالث عثمان ﷺ الصحابي معاوية بن أبي سفيان لركوب البحر والتوجه صوب الشمال، فبدأ ﷺ بغزو قبرص ؛ ليمهد لفتحها، وأعيدت الكرة في عهد سليمان بن عبد الملك، وأيام الرشيد، وهذا مسلمة بن عبد الملك ما إن سمع الحديث من راويه حتى أعد لغزو القسطنطينية. (٣٠)

ثم تتابعت المحاولات، وظلت جيوش الإسلام تدق أبواب أوروبا من الجهة الشرقية مرة، ومن الجهة الغربية مرات، لعلها تفلح في إحداها في تحقيق تلك النبوءة المحمدية بفتح القسطنطينية، ولكن هذه النبوءة لم تتحقق إلا بعد ثمانية قرون حيث أنهم لم يوفقوا لذلك حتى أولى الله تعالى هذا الفضل لمحمد الفاتح: وهو قائد عثماني مسلم لبى الدعوة إلى الله، وبلغها للناس مجاهدا فاتحا، وقد كان الفاتح من الملوك الذين يهتمون بالعلم، فأنشأ المدارس الكثيرة، وعرف بحبه للعلماء واستقدامهم من البلاد البعيدة، كما كان يشاور العلماء ويحترمهم، قال بعد الفتح: " إنكم ترونني فرحا، فرحي ليس لفتح هذه القلعة، بل تتمثل فرحتي بوجود شيخ عزيز الجانب في عهدي، هو مؤدبي الشيخ محمد شمس الدين " (٣١)

وكان والده السلطان مراد قد عهد إلى علماء الحديث والفقه في زمنه بتعليم ولده (محمد الفاتح) القرآن والحديث والفقه، كما أنه تعلم التاريخ والرياضيات والعلوم العسكرية، وأتقن لغات عدة غير التركية، وكان شيخه محمد بن حمزة يذكره بحديث رسول الله ﷺ عن فتح القسطنطينية، ويرجو له أن يكون فاتحها. (٣٢)

وقد تم له ذلك عام (٨٥٧ هـ) (١٤٥٣م) وأطلق عليها اسم (إسلام بول) أي: مدينة الإسلام، وكان فتح تلك المدينة فتحاً على دولة آل عثمان كلها؛ إذ انتقلت بهم إلى طور الدولة العالمية، فانطلق سلاطينها يضمون تحت حكمهم أطراف العالم الإسلامي التي كانت مشتتة، وتمكن العثمانيون من توحيد الشام ومصر والحجاز وغيرها تحت راية حكم واحد، وأصبحت الدولة العثمانية حامية لبلدان العالم الإسلامي وجامعة لشتاتها، مما حدا بالسلطان (سليم الأول) أن يعلن القسطنطينية عاصمة لدولة الخلافة الإسلامية (٣٣).

٢- الاستشراف النبوي لفتح روما عاصمة إيطاليا:

تطل روما عاصمة إيطاليا على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وتتمتع بموقع جغرافي وديني مهم حيث يقع الفاتيكان فيها، وهو أعلى سلطة دينية عند النصارى، فهي راعية التنصير في العالم، فهذا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان يعلن أن مهمة (التنصير) ملازمة للكنيسة طالما ظلت قائمة، وأكد على أن المنظمات التنصيرية تسعى إلى القيام بـ (واجباتها) من خلال الأعمال الإغاثية والمساعدات الإنسانية بالمناطق المنكوبة حول العالم (٣٤).

وهكذا فإن فتح رومية المنتظر وقوعه يعد حدثا عظيما نترقب وقوعه كما ترقب من قبلنا فتح القسطنطينية، فعن أبي قبيل قال: (كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وسئل: أي المدينتين تفتح أولا: القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا: قسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ: ((مدينة هرقل تفتح أولا)) يعني قسطنطينية) (٣٥)، ولربما يكون فتح روما متحققا وواقعا فعلا في الوقت الحالي عن طريق الدعاة الذين يمارسون العمل الدعوي في أوربا مع اتساع حجم الوجود

الإسلامي في أوروبا، والإقبال المتزايد من قبل الأوربيين على الدخول في الإسلام، وتزايد عدد المراكز الإسلامية فيها.

٣- الاستشراف النبوي لفتح المدائن في العراق:

ومع أن استشراف فتح مدينة المدائن، العاصمة السياسية للأكاسرة يدخل ضمن الاستشراف الذي تقدم ذكره في حادثة حفر الخندق، والتي تقدم ذكرها، إلا أني أفردتها بالذكر لاحتوائها على حادثة يجدر بأي الباحث الوقوف عندها، وعدم تجاوزها، وهي ما وقع لسراقة بن مالك عند مطاردته للنبي ﷺ في الهجرة حيث استشرف النبي عليه والسلام وهو مطارد بفتح المدائن، وتوزيع كنوزها على المسلمين، وجعل لسراقة سواري كسرى، وفيما يأتي بيان موجز لأصل هذه الحادثة التي هي من الإعجاز النبوي العظيم والاستشراف المتحقق فعلا:-

حيث كانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي ﷺ أو بصاحبه أبي بكر ﷺ حيا أو ميتا، جائزة عظيمة مقدارها مائة ناقة لكل منهما، وكان هذا الجعل مما حمل سراقة على متابعة النبي ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه أن سراقة بن مالك قال: ((جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر، دية كل واحد منهما، من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال يا سراقة: إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل، أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمة، فتحبسها علي، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي، حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي

أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني، إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم[٣٦]، ثم مضى رسول الله ﷺ)) [٣٧].

يقول الأستاذ أبو شهبة: ولم يقف الأمر في قصة سراقة عند هذه المعجزة الظاهرة البيّنة الدالة على حماية الله لنبيه وحفظه له، بل تعدّاه إلى نبوءة أخرى ما كان يجول مصداقها بخلد إنسان قط إلا أن يكون نبيا يوحى إليه من ربه، ذلك أنه لما همّ سراقة بالرجوع التفت إليه النبي ﷺ وقال: «كأني بك يا سراقة تلبس سواري كسرى» فقال سراقة متعجبا: كسرى بن هرمز!! قال: نعم فرجع سراقة وهو في حيرة من أمر هذه النبوءة، وتواردت على نفسه شتى الهواجس والخواطر والخلجات النفسية: محمد بن عبد الله الذي خرج مستخفيا مطاردا من قومه يخشى الطلب، ويخاف الرصد، ولا يكاد يأمن على نفسه من غوائل المشركين– يعدني سواري كسرى إنه للأمر العجب!! [٣٨]، فهو استشراف لا تستسيغه العقول المادية [٣٩].

وقد وفى سراقة بما وعد، فجعل لا يلقى أحدا من الطلب إلا رده قائلا: كفيتم هذا الوجه، فلما اطمأنّ إلى أن النبي ﷺ وصل إلى المدينة جعل سراقة يقصّ ما كان من قصته وقصة فرسه، واشتهر هذا عنه، وتناقلته الألسنة حتى امتلأت به نوادي مكة، فخاف رؤساء قريش أن يكون ذلك سببا لإسلام بعض أهل مكة... وتسير الأيام في صالح الدعوة الإسلامية بعد جهاد وكفاح وتضحية وصبر، ويدخل النبي ﷺ مكة منتصرا، وتدول دولة الشرك والأصنام، ويقابل سراقة رسول الله مرجعه من حنين والطائف بالجعرّانة، فيطلعه على الكتاب، فيقول له رسول الله: اليوم يوم الوفاء والبر، ادن قال: فدنوت منه وأسلمت... وتدور عجلة التاريخ مسرعة، ويأتي زمن الخليفة العبقري الملهم عمر بن الخطاب ﷺ، فيفتح الله على المسلمين بلاد فارس ومنها المدائن، ويثلّ عرش كسرى، ويؤتى بالغنائم، وفيها سوارا كسرى، وتاجه، وبساطه، وجواهره الغالية التي قدّرت بألوف الألوف من الدراهم والدنانير، ويقف الفاروق متعجبا من أمانة الجند وقوادهم، فيقول: إن قوما أدّوا هذا لذووا أمانة !! فيقول له علي ﷺ: إنك عففت، فعفّت الرعية

!! ويقسم عمر الغنائم بين المسلمين، ويتعفف عنها فلم ينله منها شيء، ويتذكر عمر والمسلمون نبوءة رسول الله ﷺ، ومقالته لسراقة، فأتى به، وألبسه سواري كسرى، وكان سراقة رجلا كثير شعر الذراعين، وقال له: قل: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن مالك[٤٠] أعرابيا من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته، ثم أركب سراقة، وطيف به المدينة، والناس حوله، وهو يرفع عقيرته مرددا قول الفاروق: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن مالك أعرابيا من بني مدلج!! وكان يوما مشهودا من أيام المدينة الخالدة، وهكذا صدق الله وعده، ونصر جند الإسلام المتقين، وجعل وراثة الأرض لعباده الصالحين. [٤١] قال تعالى: 

حيث قام سنة ١٩٧٩م، وفي العام نفسه جرى انتخاب البرلمان الأوروبي مباشرة من قبل شعوب الدول الأعضاء، وفي ديسمبر ١٩٩١م وقع زعماء اثنتي عشرة دولة أوروبية في (ماستريخت) اتفاقية الاتحاد الأوروبي، التي تنص على تحقيق الوحدة الاقتصادية والنقدية بما في ذلك اعتماد عملة أوروبية موحدة بحلول عام ١٩٩٩م، وكذلك تحويل المجموعة الأوروبية إلى اتحاد سياسي مع منح البرلمان الأوروبي مزيدا من الصلاحيات، وعليه، ومنذ ١٩٩٣/١١/١م أطلق مسمى الاتحاد الأوروبي على المجموعة الأوروبية، وتحققت الوحدة الأوروبية اقتصاديا وسياسيا [٤٥].

أثر هذا الاستشراف في تحفيز مكامن الطاقة لدى العالم الإسلامي:

إن العالم الإسلامي يبتدئ القرن الواحد والعشرين بكم هائل من التحديات والمشاكل والمآزق، منها: مأزق حضاري: ويتمثل في غياب المشروع الحضاري المستقل النابع من ضمير الأمة المحقق لطموحاتها وآمالها وتطلعاتها.

وإن من المؤلم والمحزن أن دول العالم الإسلامي، وقد مضى على استقلال أكثرها نحو أكثر من نصف قرن، وهي لا تملك مشروعا مستقلا للمستقبل، وكانت إلى وقت قريب تحاول أن تستفيد من التناقض الموجود بين الشرق والغرب؛ لتحتمي في خندق أحدهما في محاولة منها للحفاظ على نفسها، ولكن زوال الاتحاد السوفييتي أبقى ظهر بعض تلك الدول مكشوفا، والبعض الآخر من دول الإسلامية وقع فريسة لدول المحور الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة، والجميع سواء الذي اعتمدوا على الاتحاد السوفيتي ونظامه الاشتراكي أو الذين اعتمدوا على الولايات المتحدة ونظامها الرأسمالي وجدوا أنفسهم أمام المشروع الغربي، وعليهم أن يختاروا: إما أن يلحقوا به ويدوروا في فلكه، وإما أن يبحثوا لأنفسهم عن خندق من نوع آخر يحتموا به شريطة أن يكونوا مستعدين لدفع ثمن ذلك الخيار، فإن لم يجدوا ولن يجدوا، فسيظل باب الإسلام خيارا لا مناص من اللجوء إليه؛ لتأسيس المشروع الحضاري المستقبلي. [٤٦]

خامسا: الاستشراف النبوي لمؤسسة الحكم وطبيعة الأمن المجتمعي فيها:

فعن عدي بن حاتم ﷺ قال: ((بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، – قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد –، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: " كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدا يقبله منه،.... قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله...وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه...)) (٤٧).

وقد تضمن هذا الحديث استشرافات عديدة منها:

- الاستشراف بحدوث الأمن المجتمعي في ظل مؤسسات الدولة الإسلامية ونظامها السياسي، بحيث يأمن المسافرون على أنفسهم.
- الاستشراف بذوبان العصبية القبلية، وذلك مستشرف من قول عدي بن حاتم، " فأين دعار طي " ؟ إذ بمحصلة هذا الاستشراف ذابت العصبية، ونزعة التمرد والعصيان وقطع الطرق، وفرضت هيبة الدولة وسلطانها على الأراضي التي كان يسودها سلطان القبيلة والعشيرة.
- توزيع كنوز كسرى بن هرمز، وقد تقدم الحديث عن ذلك.
- الاستشراف لحالة الرخاء الاقتصادي، وكثرة المال، وعزة الأمة وعدم افتقارها، وانتفاء العوز عنها.

سادسا: الاستشراف النبوي لحالة التنافس الشديد الذي سيحل بالأمة (الانتهازية السياسية) :

فعن عمرو بن عوف الأنصاري: أن رسول الله ﷺ قال: ((فأبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)) (٤٨).

فقد جاء التحذير في هذا الاستشراف النبوي من التنافس في الدنيا ؛ وذلك لأن الطلب المفرط للغنى والتنافس في الأموال وجمعها أشد خطورة من الفقر، حيث أن فتنة الغنى غالبا ما تكون دينية، وفتنة الفقر غالبا ما تكون دنيوية، وهو ما نعاني منه اليوم في معظم البلاد الإسلامية حيث اكتسحت بلادنا موجة عارمة من التكاثر في الأموال، واستغلال حاجة الناس، وضعفهم، وأصبحت الانتهازية السياسية، والتوجه النفعي البراجماتي (**pragmatism**) داء العصر، وهذه الموجة التي لا تعرف الرحمة والهوادة، من أبرز معالمها الصراع السياسي الذي تعيشه البلاد حاليا، والذي أحرق ويحرق الأخضر واليابس، ومن معالمها حالة شراء الأصوات الانتخابية التي يقوم بها بعض الساسة المفلسين، ومن معالمها أيضا كثرة الدكاكين السياسية التي جعلت من العمل السياسي، والوظيفة العامة مهنة للارتزاق، وكسب المال والاستزادة منه، وتحويل الأموال المنهوبة عن طريق الصفقات الفاسدة إلى البنوك الأجنبية؛ لتطفح أرصدتهم بالمليارات في حين يكتوي ملايين الشعب بلظى الجوع والفقر والمرض وعذاباته.

إن النظم السياسية المعاصرة تعيش أزمة أخلاقية " بامتياز " حيث تتعاظم فيه إمبراطوريات الإقطاع السياسي الذي أرجعنا إلى مرحلة العصور الوسطى، حيث اجتذب متعاطوا السياسة أناساً من المتزلفين والمجاملين ؛ ليكونوا حاشية لهم، يطبلون ويزمرون لكل ما يفعله السياسي، ولو كان على حساب مصالح الفقراء من أبناء الشعب المحروم مقابل لعاعة من حطام الدنيا الفانية، وصدق المصطفى ﷺ إذ يقول: ((إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال))[٤٩].

المطلب الثاني

الاستشراف النبوي للتحديات السياسية المعاصرة التي يمر بها العالم الإسلامي

أولا: الاستشراف النبوي للهجمة الغربية على العالم الإسلامي:

فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟

قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن قال: قلنا وما الوهن ؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت)) (٥٠).

إن الاستشراف النبوي للهجمة الغربية على العالم الإسلامي يعد من المعجزات والاستشرافات النبوية التي أخبر بوقوعها قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، وما الحروب المتلاحقة التي يشنها الغربيون ضد بلدان العالم الإسلامي إلا مثال لذلك، ولا يزال موقفهم هو العداء من المسلمين وقضاياهم، حيث يقول اللورد النبرو: (لا يسعني أن أغمض نظري على حقيقة لا شك فيها: وهي أن العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا، وإن سياستنا الحقة ينبغي أن تتجه إلى تقريب غير المسلمين من الهنود) (٥١).

وليست التصريحات العدائية للقادة الغربيين وغيرهم من المستعمرين أقوالاً يقولونها بأفواههم، ثم تذهب أدراج الرياح، بل كانت تجد التطبيق العملي والميداني، كان المسلمون ضحية لتلك الممارسات الوحشية، فقد قام الإنجليز باضطهاد المسلمين، وقتلوا أعداداً كثيرة منهم إبان حقبة الاستعمار البريطاني، وحسبنا هنا أن نذكر ما قرره السيد "سكار حيدر" سفير باكستان في القاهرة، حيث يقول: (إن أضابير التأريخ تشهد بالأعمال الوحشية، والقسوة التي تعرض لها المسلمون على أيدي البريطانيين، إذْ كانوا يشنقون الناس بعد محاكمات سريعة، ويطلقون عليهم النار لأسباب تافهة، ويسلطون عليهم ضغوطاً سياسية واقتصادية مرهقة...) (٥٢)، ولم يقتصر عداء الغربيين للمسلمين في الهند وحدها، بل وجد في كل دولة تمكن المستعمرون من الهيمنة عليها، فقد وجد في جزر أندنونسيا والخليج العربي، وسواحل زنجبار، ورأيناه في روسيا بما فعلته في القوقاز، وأذربيجان، والشيشان، أفغانستان إبان حقبة الثمانينات، ووجدناه بما فعله الاستعمار الفرنسي في الجزائر وسائر بلدان الشمال الأفريقي، ورأيناه بما فعلته إيطاليا في غزوها لطرابلس والمغرب، إنه العداء الذي توارثه القوم جيلاً عن جيل، ولا يمكننا أن ننسى الانتهاكات الرهيبة والبشعة التي ارتكبها جنود الاحتلال الأمريكي في العراق، والتدمير المنهجي لأسس الدولة من خلال تخريب المؤسسات، وزرع الفتنة بين أبناء الشعب الواحد، وضرب النسيج الاجتماعي والأخلاقي من خلال بث الأفكار المسمومة، هذا بالإضافة إلى اغتيال الكفاءات العلمية، واضطرار كثير من العلماء والمفكرين إلى الهجرة خارج البلاد،

وقد امتد هذا العداء حتى إلى الأناشيد الوطنية عند الغربيين عند إعلان حالة الحرب ضد بلدان العالم الإسلامي، فالجندي في إيطاليا حين يرتدي ملابس الحرب قادماً لاستعمار بلاد المسلمين كان ينشد قائلاً: (يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي، بل أضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً ؛ لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ولأحارب دينها، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن) [٥٣]، وقال فيليب فونداسي: (إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره) [٥٤]، وقال ايوجين روستو: – رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس "جونسون" لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ م –: (إن الظروف التأريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل لتأريخ العالم الغربي.. بفلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف على الطرف النقيض الآخر من تأريخ العالم الشرقي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة في " الدين الإسلامي"، وليس في وسع أمريكا التنكر لانتمائها للعالم الغربي، إذ أنها إنما تتنكر بذلك للغتها ودينها، وفلسفتها، وثقافتها، ومؤسساتها)[٥٥].

وإذا كانت النظم السياسية الغربية قد عملت ليل نهار، وبأساليب شتى من أجل تثبيت وجودها في الدول التي تمكنت من السيطرة عليها، فإن هذا الاستعمار أو ذاك لم يركز في محاربة أمة من الأمم كما ركزت السياسات الغربية في محاربة الأمة الإسلامية، (ولم تستعر تلك العداوة من أجل أسباب سياسية أو اقتصادية وحدها، بل استعرت – فوق ذلك – ؛ لتحطيم الوجود الإسلامي، وذلك بتذويب شخصية المسلم، والانحراف بمقومات وجوده، وضرب الأسس الأخلاقية وتفكيكها ؛ ليقبل الثقافة الغربية بكل ما تحتويه من مبادئ فاسدة، وبذلك يكون المستعمر قد تمكن من إطفاء الجذوة المتقدة التي تدعو المسلم إلى مقاومة كل لون من ألوان الاستعمار) [٥٦].

لقد تطلع المستعمرون إلى القارتين: الآسيوية والأفريقية وطمعوا فيها، وفي هاتين القارتين يقطن مئات الملايين من المسلمين، وهؤلاء المسلمون لا يمثلون قوة سياسية وحدها، بل يمثلون – فوق ذلك – قوة روحية إذا اندفعت لا يقف أمامها شيء، بذلك قال الحاكم

الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم) (٥٧)، وقال غلادستون رئيس وزراء بريطانيا السابق: (ما دام هذا القرآن موجوداً – في أيدي المسلمين – فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان) (٥٨)، ويقول أنطوني ناتنج: (منذ أن جمع محمد (ﷺ) أنصاره الأولين في مطلع القرن السابع، وبدأ أول خطوات الانتشار العربي، أصبح العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجه عبر البحر الأبيض) (٥٩)، ويقول المفكر" ليوبولد فايس"، وقد أسلم وسمى نفسه " محمد أسد ": (إن روح الحروب الصليبية ما تزال تتسكع فوق أوربا، ولا تزال تقف من العالم الإسلامي موقفاً يحمل آثاراً واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال) (٦٠).

ثانيا: الاستشراف النبوي لحال الأمة وما تمر به من فتن سياسية واضطرابات:

فالإرباك في العمل السياسي المشفوع بالتسقيط، والتناحر والصراع السياسي الذي جر ويجر إلى القتل والتصفية الجسدية أو ما يطلق عليه بـ " الاغتيال السياسي" هو سمة هذه المرحلة، حيث أننا لا نكاد نسمع نشرة أخبار حتى نسمع خبرا عن مقتل مواطن أو مسؤول هنا، وتصفية شخص مهم هناك، واقتتال بين هذه الجماعة أو تلك، وبين هذه الدولة وجارتها أو التي هي أبعد منها، وهذا ما استشرفه المصطفى ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله ؟ قال: القتل القتل)) (٦١).

ولعل ما يحدث من استشراء للقتل في العراق وسوريا واليمن وليبيا وأفغانستان وباكستان وغيرها من البلاد الإسلامية من إرهاصات ما حذر منه في الاستشراف النبوي الآنف ذكره.

وقد حذر النبي ﷺ من هذا الصنيع بما رواه جرير البجلي ﷺ أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: ((استنصت الناس، فقال: لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض))(٦٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا، حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار)) (٦٣).

ولهذا فإننا نجد التوجيه النبوي يحث على اعتزال الفتن عند وقوعها، لا بل إن الاستشراف النبوي لهذه المرحلة يؤكد وجود ثلة قليلة مباركة من هذه الأمة تعتزل الفتن ؛ لأنها عرفت طريق الخلاص، وسبل النجاة من توجيهات الرسول ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)) (٦٤).

إن الإسلام ليس دين انطواء وانعزال بل هو دين يحث على المشاركة الفاعلة، والاندماج الاجتماعي، وعدم الانطواء على الذات، ولكن عند وقوع الفتن وحدوثها، فإن التوجيه النبوي يؤكد على ضرورة اعتزال الفتن، وفرار المؤمن بدينه خشية الانزلاق في أتون الفتن، ومع اشتداد الفتن التي استشرف النبي ﷺ وقوعها حيث إنها تجعل الإنسان المؤمن يتمنى جوار ربه ومغادرة عالم الدنيا، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه)) (٦٥) ؛ وذلك لأن الفتن قد عمت، فلم يعد الشخص يميز بين العدو والصديق، ومن له ومن عليه.

وقد وصف النبي ﷺ هذه الفتن بما رواه أسامة ﷺ قال: ((أشرف النبي ﷺ على أطم من الآطام، فقال: هل ترون ما أرى؟ إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر)) (٦٦).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ، فقال: ((سبحان الله، ماذا أنزل من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن)) (٦٧)، قال القرطبي: ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا أنزل من الخزائن، فأشار بذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده، فكثرت الأموال في أيديهم، فوقع التنافس الذي جر إلى الفتن، وكذلك التنافس على الإمارة (٦٨).

ثالثا: الاستشراف النبوي لصفات بعض القادة السياسيين عند وقوع الفتن:

إن الغرور واتباع الهوى، واحتكار الحقيقة من مآسي العمل السياسي المعاصر، فكل سياسي يتصور أنه الرجل المخلِّص والمنقذ، وأنه رجل المرحلة والقائد الضرورة، وبدونه سوف ينهار الأمن والاستقرار في البلد، وهذا يعد من إتباع الهوى، الذي جعل كثيرا من الحكَّام المستبدين لا يصغون لأحد ؛ لأنهم الأعلم، ولا يسمعون لمشورة ناصح ؛ لأنهم الأحكم، وبسبب هذه الأهواء التي حذر منها النبي ﷺ قبل مئات السنين، فقد ظهرت الخلافات والفرقة والتشرذم في صفوف الأمة حيث يُعد إتباع الهوى من أهم الأسباب التي تدعو إلى الفرقة والانقسام، وإن استحكام الهوى على العقل الإنساني سبب أساس في حالة التخبط، والتعثر الذي يعتري العمل السياسي، حيث إن القرارات المبنية على الأهواء تزج البلاد في مغامرات غير مدروسة، وتوقع الأمة في مآزق ومآسي لا تحسد عليها.

وقد عرف أهل اللغة الهوى بأنه: (محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه) (٦٩).

وأما في الاصطلاح فهو: (ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع) (٧٠).

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تحذر من إتباع الهوى، وتستشرف وقوع بعض الناس فيه، حيث يقول النبي ﷺ: ((إني أخاف على أمتي من ثلاث: من زلة عالم، ومن هوى متبع، ومن حكم جائر)) (٧١).

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الهوى)) (٧٢).

يقول الإمام الشعبي: (إنما سُمِّي الهوى هوى ؛ لأنه يهوي بصاحبه) (٧٣).

وكان إبراهيم التيمي رحمه الله يقول: (اللهم اعصمني بدينك، وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى، ومن سبيل الضلالة، ومن شبهات الأمور، ومن الزيغ والخصومات) (٧٤).

رابعا: استشراف النبي ﷺ لحال العالم العربي في الوقت الحاضر:

فمكانة العرب على المسرح السياسي الدولي ليست كما كانت عليه في صدر هذه الأمة، فهي لا تسر صديقا، ولا تغيض عدوا، والأنظمة السياسية العربية هي الورقة الأضعف دوليا، فهذه إسرائيل تحتل الأراضي وتقتل الأبرياء، وتضرب عرض الحائط كل مقررات مجلس الأمن والقانون الدولي، ولم تستطع الجامعة العربية بكل أعضائها منذ تأسيسها أن تدفع ضررا أو تجلب نفعا بل إن اجتماعات القادة العرب أصبحت مثار استهجان الشارع، وسخرية الجميع ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لأشقائهم، فكيف بهم أن يؤثروا في القضايا العالمية، وأصبحنا دائما ضحية لمؤامرات الآخرين ومخططاتهم، فهذا العراق تركته الأنظمة العربية لقمة سائغة لقوى الشر والاحتلال مع أن العراق من المؤسسين للجامعة العربية، وكذا فلسطين وسوريا، وغيرها من الأقطار، وهذا ما استشرفه النبي ﷺ بقوله: ((...ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت)) [٧٥]، ويمكن أن نستشرف حالة الخطر الذي يهدد العالم العربي من فزعه ﷺ الذي أخبرت عنه زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: ((لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج، ومأجوج مثل هذا، وحلق بإصبعه، وبالتي تليها، فقالت زينب: فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث)) [٧٦].

قال الحافظ ابن حجر: والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان، ثم توالت الفتن حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة، كما وقع في الحديث الآخر يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، وإن المخاطب بذلك العرب [٧٧].

خامسا: الاستشراف النبوي للمحن والصعوبات والحروب التي ستواجه العالم الإسلامي:

١- الاستشراف النبوي لحصار اقتصادي يصيب العراق:

عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله ﷺ، فقال: ((يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذاك..)) [٧٨].

٢- الاستشراف النبوي لحصار اقتصادي يصيب بلاد الشام:

عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله ﷺ، فقال: ((...يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم...)) (٧٩).

ويستفاد من الحديثين السابقين: أهمية هذين البلدين باعتبارهما قلب الأمة حيث تسعى الدول المعادية إلى استهدافهما من خلال الحصار والغزو العسكري وغير ذلك من وسائل الاستهداف، ويضاف إلى ذلك: فإن هذه الأحاديث الكريمة تسعى إلى لفت أنظار شعوب هذين البلدين من خلال تشخيص أعدائهم، وتحذيرهم من التحديات التي تواجههم، فالعراقيون يساهم العجم في إضعاف دولتهم، وجعلهم تابعين لهم، وأما أهل الشام: فمصدر الخطر عليهم من " الروم ": الغرب المناصر لإسرائيل التي تحتل الجولان السورية منذ عام ١٩٦٧م.

٣- الاستشراف النبوي لكثرة الأموال مع ضعف في التدبير والإدارة:

تبتلى الأمة بقادة تنقصهم الكفاءة، وليس أدل على ذلك من الموازنات الضخمة الموجودة في كثير من دول العالم العربي، ولكن من غير جدوى حيث ضعف الخدمات، وهدر المال العام، ووضعه في غير محله، فعن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله ﷺ، فقال: قال: قال رسول الله ﷺ: ((يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا، لا يعده عددا قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز، فقالا: لا)) (٨٠).

٤- انحسار نهر الفرات عن كنز من ذهب:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا، قال عقبة: وحدثنا عبيد الله، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، مثله، إلا أنه قال: يحسر عن جبل من ذهب)) (٨١).

تشير الدراسات إلى أن نهر الفرات إذا انحسر، فسوف يتفجر منه الخزين الزئبقي الهائل، وقد حدث في أهوار جنوب العراق عند تجفيفها أن انفجر منها الزئبق ؛ لأن الأرض ارتفعت درجة حرارتها، فلم يعد من الممكن بقائه تحت الأرض فطفا على سطحها، وقد تدارك الخبراء ذلك الأمر في حينه، ولربما يكون هذا الزئبق هو المقصود ؛ لاسيما إذا علمنا أن ثمنه أغلا من الذهب، ولربما يخرج الذهب مع الزئبق إذا انحسر الفرات، وقد يكون المراد من

الحديث الذهب نفسه، فيخرج إذا انحسر النهر، إذ لا شيء يمنع ذلك، وعلى كل حال، فإنه من المقطوع به تحقق هذا الأمر ووقوعه مستقبلا ؛ لأنه استشراف الذي لا ينطق عن الهوى.

٥- الاستشراف النبوي لصراع الدول الإسلامية مع إسرائيل:

والاستشراف النبوي للصراع مع اليهود يؤكد نشوب حرب فاصلة مع اليهود، وهذا ما ذكره حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود)) [٨٢].

ومن الملاحظ أن المستوطنين اليهود في فلسطين المحتلة يكثرون من زراعة هذه الشجرة، ويعتبرونها نافعة لهم استلهاما من الاستشراف النبوي هذا.

٦- الاستشراف بظهور قائد سياسي عربي يتصف بالقوة والبطش:

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه)) [٨٣].

وقحطان: هي قبيلة من قبائل العرب المشهورة، ومعنى " يسوق الناس ": أي: لأجل حكمه ومعنى " بعصاه ": هذا عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم، كسوق الراعي غنمه بعصاه[٨٤]، فهو كناية عن تسلطه على الناس وتسخيره لهم[٨٥].

قال الحافظ ابن حجر: وفي ذلك إشارة إلى أن ملك القحطاني يقع في آخر الزمان عند قبض أهل الإيمان، ورجوع كثير ممن يبقى بعدهم إلى عبادة الأوثان، وهم المعبر عنهم بشرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة [٨٦].

٧- الاستشراف النبوي لحالة الاقتتال الداخلي بين بعض الجماعات الإسلامية:

تشهد مناطق عديدة من البلاد الإسلامية حالة من الاضطراب السياسي الذي ولد احتقانا أدى إلى تكفير بعض الجماعات الإسلامية لبعض، وتسبَّب هذا في استحلال الفريق المعارض لدماء خصومه، والغريب أن أدبيات كل فريق، وخطابهم الإعلامي الخارجي يهدف إلى

شيء واحد، وهو رفعة الإسلام بحسب دعواهم، لكن !! أي رفعة هذه وقد شُوِّهت صورة هذا الدين حتى وُصِفَ بالعنف والإرهاب من قبل أعداء الأمة الحقيقيين ؟.

وقد استشرف النبي ﷺ هذه المرحلة العصيبة بكل مرارتها ومآسيها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان، دعواهما واحدة)) (٨٧)

والاستشراف النبوي لحالة الاضطراب السياسي والاختلال الأمني، هو من باب التحذير للأمة من الانخراط في الفتن، والتورط بدماء الناس، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما)) (٨٨).

وعند وقوع الاحتراب الداخلي والصراع المدمر، فليس أمام الإنسان العاقل إلا المبادرة بالأعمال الصالحة، وطلب النجاة من الله تعالى، والابتعاد عن مواطن الشبهات، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)) (٨٩).

ولتأكيد التحذير من عدم الانزلاق في أتون هذه الفتنة يستشرف النبي ﷺ طبيعة هذه المرحلة الدموية، ويصفها بقوله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا، حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار)) (٩٠).

٨- الاستشراف النبوي لحالة التبعية الفكرية والسياسية للأجنبي:

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ (٩١) فقال: ومن الناس إلا أولئك)) (٩٢).

ويشرح المفكر الفرنسي الشهير (جان بول سارتر) حالة التبعية الفكرية التي أصيب بها العالم الإسلامي بقوله: كنا نُحضِر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من إفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس؛ فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو، ويتعلمون لغاتنا، وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم أحيانا

زيجات أوروبية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية. كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا، ثم نرسلهم إلى بلادهم.. وأي بلاد؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائما في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذا إليها، كنا بالنسبة إليهم رجسا ونجسا، ولكن منذ أن أرسلنا (المفكرين!) الذين صنعناهم إلى بلادهم، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس: الإخاء البشري! فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي إفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالي إفريقيا.. كنا نقول: ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم، وحين نصمت يصمتون، إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم...![٩٣].

٩- الاستشراف النبوي للانفتاح السياسي والاقتصادي في جزيرة العرب:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا))[٩٤].

إن ظاهرة الانفتاح الاقتصادي والسياسي صوب الغرب ولد تحالفا عميقا بينها وبين الدول الشمولية في المنطقة، وأنتج الشرائح البورجوازية التي هي من الوفرة والثراء ما يوصلها إلى حد الغرور، ويمكن مشاهدة ذلك في وسائل إعلام بعض الدول العربية الثرية ولاسيما المنتجة للنفط، من خلال النظر في طبيعة عيشهم، ونمط تفكيرهم، حيث الوفرة المالية الملهية، والبذخ في المعيشة، والترف في العمران، وتحول الصحاري القفار إلى مروج خضراء.

١٠- الاستشراف النبوي لحالة التباهي بالمساجد والأبعاد السياسية المعاصرة لذلك:

يقوم بعض قادة الأنظمة السياسية المستبدة ببناء المساجد؛ لتلميع صورتهم عند الرأي العام؛ وللتباهي أمام وسائل الإعلام، لا بل إن بعض القادة كانت لديه توجهات علمانية متطرفة وحقدا على أبناء الخط الإسلامي، ومع ذلك يقوم ببناء مسجد يؤمه كل جمعة؛ ليظهر أمام الكاميرات، ووسائل الإعلام على أنه الرجل التقي النقي بيد أنه في الحقيقة يحارب الله ورسوله والمؤمنين، ويحارب كل مسلم إلا من وافق رأيه، وأيد أفكاره وتوجهاته، وفيما يتعلق

بتباهي الناس بالمساجد، ولاسيما السياسيين منهم، فقد ورد عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)) [٩٥].

هذا وإن بعضهم صدرت منهم أفكار هدامة وخطيرة، فأحد الحكام في دولة عربية معينة كان يرى في صوم رمضان سببا في تأخر عجلة الإنتاج، فكان يأمر الدوائر الحكومية وموظفيها بعدم الصوم، وفي دولة أخرى يقحم رئيسها نفسه بأمور خارج تخصصه، فيسقط حجية السنة النبوية المطهرة، ويضع بدلا عنها كتابا إبتدعه من عند نفسه، وحمل الناس على تطبيقه، وقائد آخر كان يقول إن من ينتمي إلى حزبه له حصانة كحصانة "عمر بن الخطاب"، وزعيم آخر ممن اشتهر ببناء المساجد، وارتيادها يوم الجمعة كان اشتهر عنه القول: " إن أتاتورك[٩٦] هو مثلي الأعلى " وفي نظام آخر كان رجال الأمن السياسي يتتبعون من يصلون الأوقات الخمسة في المساجد، ويُفتح ملف خاص لمراقبة الذين يصلون صلاة الفجر في المسجد، ناهيك عن سجون ومعتقلات هذه الأنظمة التي ملئت بالإسلاميين، حيث تمارس ضدهم أبشع أنواع التعذيب والانتهاكات والاهانات النفسية والجسدية، بالإضافة إلى اعتقال أقارب الموقوفين من الإسلاميين حتى وصلت الخسة ببعض أجهزة تلك الأنظمة أنهم يعتقلون زوجات المعتقلين وأخواتهم ؛ للمساومة على شرف الحرائر من أجل انتزاع الاعترافات تحت التعذيب من خلال التهديد بالاغتصاب وانتهاك الحرمات، حيث طفحت أقبية تلك الأنظمة بالمظالم التي جلبت النكسات والهزائم للأمة، وصدق المصطفى ﷺ الذي استشرف هذا الأمر بما يرويه أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)) [٩٧].

١١- الاستشراف لحالة اختلال الموازين وحيرة الحليم وضياع الأمانة:

فعن كعب ﷺ قال: ((إني لأجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل، ويتفقهون لغير العبادة، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون جلود الضأن، وقلوبهم أمر من الصبر، فبي يغترون، أو إياي يخادعون؟ فحلفت بي لأتيحن لهم فتنة تترك الحليم فيها حيران)) [٩٨].

ومن معالم هذه المرحلة التي تم استشرافها آنفا ضياع الأمانة، وندرة الشخص الأمين، وتعدد الولاءات السياسية بتعدد البيعة لأكثر من شخص، فعن حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله

ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا: ((أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: " ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة، فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرا، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلما رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه، فأما اليوم: فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا)) (٩٩).

ومن ضياع الأمانة التي استشرف النبي ﷺ وقوعها تولية الأمر لمن هو ليس أهلا له حيث يقول النبي ﷺ: ((فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)) (١٠٠).

وفي الختام نقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، ونسأله تعالى حسن الختام وحسن اليقين، والنجاة من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين:

وبعد:

فإني وبعد ما تقدم من عرضٍ لجانبٍ من الاستشرافات النبوية في الجانب السياسي حيث أود في الختام أن أبين أمرا مهماً: وهو أن من الاستشرافات النبوية ما لا يقبل التأويل، ومنها ما يقبل التأويل لطبيعة حدوثه وماهيته مع كون أن أمر حدوثه من الأمور الحتمية ؛ لأنها من كلام النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فمثال ما لا يقبل التأويل: فتح القسطنطينية، وفتح العراق واليمن والشام، وفتح ايطاليا وغيرها من الاستشرافات، ومن الاستشرافات ما تقبل

التأويل لطبيعة حدوثها مع أننا نؤمن إيمانا جازما بوقوعها وحدوثها مستقبلا، ومما يحتمل التأويل اسم الرجل القحطاني الذي يتصف بالقوة، ويهيمن على الناس، وطبيعة الكنوز التي ستخرج من نهر الفرات هل المقصود منها الذهب حقيقة؟ أم أشياء نفيسة قيمتها قيمة الذهب مثلا كالزئبق الأحمر على سبيل المثال؟، وهل أن الاستشراف بصيرورة أرض العرب مروجا وأنهارا، هل المقصود منها الأنهار حقيقة ؟ أم أن المقصود منها حالة المساحات الخضراء الكبيرة، والمتنزهات الفارهة، وواحات الماء، والنافورات الكبيرة التي تملأ الرياض ودبي وأبو ظبي والدوحة مثلا باعتبارها جزء من جزيرة العرب؟، ومتى سيتحقق الاستشراف النبوي لحدوث المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود؟ ؛ وذلك لأن بعض الفصائل المسلحة العاملة على الساحة العربية تدعي أنها ستكون من ضمن الجيش الذي يحقق الانتصار، وهذا أمر غيبي لا يمكن لأحد أن يحدد وقت وقوعه أو يجزم بشيء لم يتطرق له الاستشراف النبوي أو يتناوله، إذ نحن مأمورون بالإيمان بوقوع هذا الحدث لكن لا نعلم متى ومن سيقود هذا الجيش.

وأخيراً: فإن الباحث يوصي بتدريس الاستشرافات النبوية ضمن المناهج التعليمية في الجامعات والمعاهد الإسلامية، وذلك لأهميتها الإستراتيجية في حياة الأمة بالإضافة إلى إنشاء مركز دراسات مستقبلية يهتم بدراسة الاستشرافات النبوية، ودراسة آفاق مستقبل العالم الإسلامي في ضوء التحديات التي يتعرض لها المسلمون في كل أماكن تواجدهم، ورفد المؤسسات التنفيذية المعنية بما يتوصلون إليه من أبحاث وتوصيات.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله صحبه أجمعين.

هوامش البحث

(١) صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (المتوفى ٢٥٦ هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣ / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ١٩٨/٤، برقم ٣٥٩٧.

(٢) تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ٢٠٠١م، ٢٣٥/١١.

(٣) فقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ١٣٤/١.

(٤) لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣/ ١٤١٤ هـ، ١٧٢/٩.

(٥) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٢٦٣/٣.

(٦) تهذيب اللغة: لأبي منصور الهروي، ٢٣٥/١١.

(٧) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/ ١٩٨٧م، ١٣٦٠/٤، وينظر أيضا: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ٢٦٣/٣.

(٨) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق: لزين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، ط٢/ بدون تاريخ، ٢٠١/٨. وينظر أيضا: الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، ط٣/١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م، ٣١٨/٣.

(٩) المقابلة: ما قطع طرف أذنها، والمدابرة: ما قطع من جانب الأذن، والشرقاء: المشقوقة، والخرقاء: المثقوبة. شرح السنة: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ٣٣٧/٤.

(١٠) سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (المتوفى ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ٨٦/٤ ، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(١١) معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٢/ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ٦١/١.

(١٢) الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية: محمود أحمد شوق، دار الفكر العربي، بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، ١٨١/١.

(١٣) ينظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الكلمة، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، ٤٠٦/١ وما بعدها.

(١٤) سُميت بالخندق لحفر النبي ﷺ الخندق بإشارة سلمان الفارسي ﷺ، وسميت بالأحزاب جمع حزب أي: طائفة ؛ لاجتماع طوائف المشركين على حرب المسلمين وهم: قريش، وغطفان، واليهود، ومن معهم، وهم الذين سماهم الله تعالى بالأحزاب، وأنزل الله تعالى في ذلك صدر سورة الأحزاب. ينظر: تاريخ الخميس: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيارَبَكْري (المتوفى: ٩٦٦هـ)، دار صادر – بيروت، ٤٧٩/١.

(١٥) مسند الإمام أحمد: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (المتوفى ٢٤١ هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، ط/بدون تاريخ، ٤/ ٣٠٣، مسند البراء بن عازب ﷺ، ومسند أبي يعلى: لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (المتوفى ٣٠٧ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١٤٠٤/١ هـ – ١٩٨٤م، ٣/ ٢٤٤، برقم ١٦٨٥، وقال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه

ابن حبان، وضعفه جماعه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، (المتوفى ٨٠٧ هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١/١٤٠٥ هـ، ٦/ ١٣٠.

(١٦) سورة الأحزاب: الآيتان: ١٠ – ١١.

(١٧) صحيح البخاري: ٨٥/٤، برقم ٣١٢١.

(١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ط/ ١٣٧٩هـ، ٢٢٦/٦.

(١٩) السنن الصغير للبيهقي: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، ط١/ ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ٤١٦/٣، برقم ٢٩٢٤.

(٢٠) السنن الصغير للبيهقي: ٤١٦/٣، برقم ٢٩٢٤.

(٢١) المصدر نفسه: ٤١٦/٣، برقم ٢٩٢٤.

(٢٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٢٢٦/٦.

(٢٣) فائدة: قال القرطبي: في الكلام على الرواية التي لفظها إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وعلى الرواية التي لفظها هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده بين اللفظين بون، ويمكن الجمع بأن يكون أبو هريرة سمع أحد اللفظين قبل أن يموت كسرى والآخر بعد ذلك قال: ويحتمل أن يقع التغاير بالموت والهلاك، فقوله إذا هلك كسرى أي هلك ملكه وارتفع، وأما قوله مات كسرى ثم لا يكون كسرى بعده، فالمراد به كسرى حقيقة. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: ويحتمل أن يكون المراد بقوله هلك كسرى تحقق وقوع ذلك حتى عبر عنه بلفظ الماضي، وإن كان لم يقع بعد للمبالغة في ذلك كما قال تعالى:" أتى أمر الله فلا تستعجلوه" وهذا الجمع أولى؛ لأن مخرج الروايتين متحد،

فحمله على التعدد على خلاف الأصل، فلا يصار إليه مع إمكان هذا الجمع، والله أعلم. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٢٢٦/٦.

(٢٤) والقليب: البئر ما كانت. والقليب: البئر قبل أن تطوى، فإذا طويت، فهي الطوي، والجمع القلب، وقيل: هي البئر العادية القديمة، التي لا يعلم لها رب، ولا حافر، تكون بالبراري، تذكر وتؤنث؛ وقيل: هي البئر القديمة، مطوية كانت أو غير مطوية. يراجع: لسان العرب: ٦٨٩/١.

(٢٥) وقوله: فاستحالت غربا: أي انقلبت الدلو التي كانت ذنوبا غربا: أي دلوا عظيمة، والغرب بفتح الغين المعجمة، وسكون الراء المهملة، وقوله: فلم أر عبقريا بفتح المهملة، وسكون الموحدة، وفتح القاف، وكسر الراء، وتشديد التحتانية: أي رجلا قويا يفري بفتح أوله، وسكون الفاء، وكسر الراء، وسكون التحتانية، وقوله: فريه بفتح الفاء، وكسر الراء، وتشديد التحتانية المفتوحة، وروي بسكون الراء، وخطأه الخليل، ومعناه: يعمل عمله البالغ، وقوله: حتى ضرب الناس بالعطن بفتح المهملتين وآخره نون هو مناخ الإبل إذا شربت، ثم صدرت. يراجع: تحفة الأحوذي: ٤٦٩/٦.

(٢٦) صحيح البخاري: ١٣٤٠/٣، برقم ٣٤٦٤، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا.

(٢٧) تحفة الأحوذي:٤٦٩/٦.

(٢٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١/ ١٣٥٦هـ، ٢٦٢/٥.

(٢٩) مسند الإمام أحمد: ٢٨٧/٣١، برقم ١٨٩٧٧، والمستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري،(المتوفى ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.: ٤٦٨/٤، برقم ٨٣٠٠، وقال: حديث صحيح، ووافقه الحافظ الذهبي في تعقيبه.

(٣٠) ينظر: تاريخ الطبري "تاريخ الرسل والملوك": لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ط٢/ ١٣٨٧ هـ، ٥٣٠/٦.

(٣١) ينظر: دراسات في السيرة والتاريخ: ماذا وراء الهجوم على التاريخ الإسلامي: لمحمد بن حامد الناصر ، وينظر كتاب (وذكرهم بأيام الله) للشيخ محمد العبدة، ص ٤٥ – ٤٨ كتاب المنتدى، ١٤٢٣هـ.

(٣٢) مجلة البيان (٢٣٨ عددا): تصدر عن المنتدى الإسلامي: ٩٦/١٩٥، ودراسات في السيرة والتاريخ: ماذا وراء الهجوم على التاريخ الإسلامي: لمحمد بن حامد الناصر ، وينظر كتاب (وذكرهم بأيام الله) للشيخ محمد العبدة، ص ٤٥ – ٤٨ كتاب المنتدى، ١٤٢٣هـ.

(٣٣) ينظر: فتح القسطنطينية: عبد العزيز حامد: مجلة البيان (٢٣٨ عددا): تصدر عن المنتدى الإسلامي، ١٠٢/١٣٩.

(٣٤) مرصد الأحداث: أحمد فهمي : afahmee@albayan-magazine.com.

(٣٥) مسند الإمام أحمد: ٢٢٤/١١، برقم ٦٦٤٥.

(٣٦) قال مصطفى البغا: ومعنى: (أسودة) أشخاصا. (أكمة) رابية مرتفعة عن الأرض. (من ظهر) من خلف. (فحططت بزجه) نكست أسفله وفي نسخة (فخططت) خفضت أعلاه وجررت زجه على الأرض فخططتها به من غير قصد. (بزجه) الزج الحديدة التي تكون في أسفل الرمح. (فرفعتها) أسرعت بها السير. (تقرب بي) من التقريب وهو نوع من السير دون العدو وفوق العادة وقيل هو أن ترفع يديها معا وتضعهما معا. (الأزلام) سهام لا ريش لها ولا نصل مكتوب عليها لا نعم فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرا ضربوا بها فإن خرج [لا] تركوا وإن خرج [نعم] فعلوا. (فاستقسمت بها) من الاستقسام وهو طلب معرفة ما قسم. (الذي أكره) أي لا تضرهم ولا تقدر عليهم. (عثان) الدخان من غير نار

وفي نسخة (غبار). (ساطع) منتشر. (لم يرزآني) لم يأخذا مني شيئا ولم ينقصا مالي. (كتاب أمن) كتاب موادعة. (أديم) هو الجلد المدبوغ. صحيح البخاري: ٥/٦٠.

(٣٧) صحيح البخاري: ٥/٦٠، برقم ٣٩٠٦.

(٣٨) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم – دمشق، ط٨/ ١٤٢٧ هـ، ١/٩٣.

(٣٩) السيرة النبوية: لأبي الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير – دمشق، ط١٢/ ١٤٢٥هـ، ١/٢٤٤.

(٤٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١/ ١٤١٢ هـ، ٢/٥٩٧.

(٤١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ١/٩٣.

(٤٢) سورة التوبة:آية: ٣٣.

(٤٣) صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (المتوفى ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ بدون تاريخ ٤/٢٢٢٢، برقم ٢٨٩٨.

(٤٤) جريدة الشرق الأوسط، ع/٥١٦٥، ١٩٩٣/١/١٨م، مقال الأستاذ فهمي هويدي.

(٤٥) ينظر: المسلمون على مشارف القرن الواحد والعشرين: د. محمد طاهر حكيم، ٥٦/١١٤، مجلة البيان (٢٣٨ عددا): تصدر عن المنتدى الإسلامي.

(٤٦) ينظر: المسلمون على مشارف القرن الواحد والعشرين: د. محمد طاهر حكيم، ٥٦/١١٤، مجلة البيان (٢٣٨ عددا): تصدر عن المنتدى الإسلامي. ومجلة (الحوراء)، ص ٢٨ ٣١، ع/١٩، خريف ١٩٩٠م، مقال الأستاذ فهمي هويدي.

(٤٧) صحيح البخاري: ٤/١٩٧، برقم ٣٥٩٧.

(٤٨) صحيح البخاري: ٩٤/٤، برقم ٣١٥٨.

(٤٩) مسند الإمام أحمد: ١٥/٢٩، برقم ١٧٤٧١، وسنن الترمذي: ٥٦٩/٤، برقم ٢٣٣٦، قال الشيخ شعيب الإرناؤوط: هذا حديث صحيح، وإسناده قوي، والحسن بن سوار صدوق لا بأس به، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح...، فقد روى له الترمذي والنسائي، وأخرجه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن الحسن بن سوار، بهذا الإسناد. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٨٢/٣٧، برقم ٢٢٣٩٧. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٥١) فصل المقال فيما بين العلمانية و الماسونية من الاتصال: سامي عطا حسن، الدار السلفية، الكويت، ط١/ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ص ٥٠.

(٥٢) حصاد الغرور: الشيخ محمد الغزالي، دار البيان، الكويت، ط ١/ ١٩٧٠ م، ص ٢٩٧ – ٢٩٨.

(٥٣) لماذا تأخر المسلمون و تقدم غيرهم: للأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط ٢/ ١٩٦٥ م، ص ٣٢.

(٥٤) الاستعمار الغربي في أفريقيا السوداء: تأليف فيليب فونداسي، ص ٢. نقلاً عن كتاب: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله: جلال الدين العالم، ط٢/ ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، ص ٤٥.

(٥٥) المؤامرة و معركة المصير: سعد جمعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/ ١٩٦٩ م، ص ٨٢.

(٥٦) الإسلام والغرب وجهاً لوجه: الشيخ إبراهيم النعمة، بدون ذكر اسم ومكان الطبع ط ١/ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ص ٣١.

(٥٧) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله: جلال الدين العالم، ص ٣١.

(٥٨) الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم، بيروت، ط ٤/ ١٩٦٢ م، ص ٤١.

(٥٩) القومية والغزو الفكري: محمد جلال كشك، مطابع دار الغد، الناشر مكتبة الأمل، الكويت، ط/ بدون تاريخ، ص ٢١.

(٦٠) ربحت محمداً ولم أخسر المسيح: د. عبد المعطي الدالاتي، دار الشهاب، سوريا، دمشق، ط٣/١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ص ١٠٠.

(٦١) صحيح مسلم: ١٧/٢٢، برقم ١٥٧.

(٦٢) صحيح البخاري: ٣٥/١، برقم ١٢١.

(٦٣) صحيح مسلم: ٢٢٣١/٤، برقم ٢٩٠٨.

(٦٤) صحيح البخاري: ١٣/١، برقم ١٩.

(٦٥) صحيح البخاري: ٥٨/٩، برقم ٧١١٥.

(٦٦) صحيح البخاري: ١٩٨/٤، برقم ٣٥٩٧.

(٦٧) صحيح البخاري: ١٩٨/٤، برقم ٣٥٩٩.

(٦٨) فتح الباري: ١٣/ ١٠٧.

(٦٩) لسان العرب: ٣٧١/١٥.

(٧٠) التعريفات: للإمام الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ بدون تاريخ، ص ٢٥٧.

(٧١) مسند البزار: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (المتوفى٢٩٢هـ)، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١/١٤٠٩هـ، ٣١٤/٨، برقم ٣٣٨٤، والمعجم الكبير: للطبراني ١٧/ ١٧، برقم ١٤، وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه

كثير ابن عبد الله بن عوف، وهو متروك، وقد حسن له الترمذي، مجمع الزوائد: للحافظ الهيثمي، ١/ ١٨٧، باب ما يخاف على الأمة من زلة عالم وجدال منافق وغير ذلك.

(٧٢) مسند الإمام أحمد: ٤ / ٤٢٠، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد: للحافظ الهيثمي: ١/ ١٨٨، باب في البدع والأهواء.

(٧٣) سنن الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (المتوفى ٢٥٥ هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤٠٧ هـ، ١/١٢٠.

(٧٤) جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ٢/١١٧٩.

(٧٥) سنن أبي داود: ٤/١١١، برقم ٤٢٩٧، وقال الألباني حديث صحيح.

(٧٦) صحيح البخاري: ٤/١٩٨، برقم ٣٥٩٨.

(٧٧) فتح الباري: ١٣/١٠٧.

(٧٨) صحيح مسلم: ٤/٢٢٣٤، برقم ٢٩١٣.

(٧٩) صحيح مسلم: ٤/٢٢٣٤، برقم ٢٩١٣.

(٨٠) صحيح مسلم: ٤/٢٢٣٤، برقم ٢٩١٣.

(٨١) صحيح البخاري: ٩/٥٨، برقم ٧١١٩.

(٨٢) صحيح مسلم:٤/٢٢٣٩، برقم ٢٩٢٢.

(٨٣) صحيح البخاري: ٤/١٨٣، برقم ٦٧٠٠.

(٨٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعلي بن السلطان محمد أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١/١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ٣٤٠٩/٨.

(٨٥) قاله الأستاذ: مصطفى البغا في تعليقاته على صحيح البخاري: ٥٨/٩.

(٨٦) فتح الباري: ١١٥/١٣.

(٨٧) صحيح البخاري: ١٧/٩، برقم ٦٩٣٥.

(٨٨) صحيح البخاري:٢/٩، برقم ٦٨٦٢.

(٨٩) سنن الترمذي: ٤٨٧/٤، برقم ٢١٩٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٩٠) صحيح مسلم: ٢٢٣١/٤، برقم ٢٩٠٨.

(٩١) ومعنى (بأخذ القرون) تسير بسيرة الأمم قبلها. (شبرا بشبر) الشبر ما بين رأس الإبهام ورأس الخنصر والكف مفتوحة مفرقة الأصابع والمراد بيان شدة اتباعهم والمبالغة في تقليدهم. وذكر فارس والروم لأنهم كانوا أكبر ممالك الأرض حينئذ وأكثرهم رعية وأوسعهم بلادا والناس إنما يقلدون من كان هذا حاله وليس المراد الحصر. وكذلك ذكره لليهود والنصارى في الحديث الآتي لأنهم كانوا المشهورين بالديانات السماوية. صحيح البخاري: ١٠٢/٩

(٩٢) صحيح البخاري: ١٠٢/٩، برقم ٧٣١٩.

(٩٣) جان جاك روسو، في مقدمة كتاب: (معذبو الأرض)، للكاتب الإفريقي: فرانس فانون. مجلة البيان: العدد ٢٣٨، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

(٩٤) صحيح مسلم: ٧٠١/٢، برقم ١٥٧.

(٩٥) سنن أبي داود: ١٢٣/١، برقم ٤٤٩.

(٩٦) زعيم تركي ساهم في تفكيك الدولة العثمانية، ومؤسس للفكر العلماني في بلاد الشرق.

(٩٧) سنن الترمذي: ٥٢٦/٤، برقم ٢٢٦٠، وقال الترمذي: (هذا حديث غريب من هذا الوجه وعمر بن شاكر شيخ بصري قد روى عنه غير واحد من أهل العلم) وقال الألباني: صحيح.

(٩٨) سنن الدارمي: ٣٤٠/١، برقم ٣٠٧ موقوفاً، وقال محققه: إسناده صحيح، وقد رفعه الطبراني في المعجم الأوسط: يراجع المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى ٣٦٠ هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني، دار الحرمين، القاهرة، ط/١٤١٥ هـ ٣٧٩/٨، برقم ٨٩٣١، إلا أن إسناد الدارمي أصح.

(٩٩) صحيح البخاري: ٨/ ١٠٤، برقم ٦٤٩٧.

(١٠٠) صحيح البخاري: ٢١/١، برقم ٥٩.

المصادر والمراجع العلمية

- بعد القرآن الكريم.

١- الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية: محمود أحمد شوق، دار الفكر العربي، بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢- الاستعمار الغربي في أفريقيا السوداء: تأليف فيليب فونداسي، ط٢/ ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١/ ١٤١٢ هـ.

٤- الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم، بيروت، ط ٤/ ١٩٦٢ م.

٥- الإسلام والغرب وجهاً لوجه: الشيخ إبراهيم النعمة، بدون ذكر اسم ومكان الطبع ط ١/ ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٦- تأريخ الخميس: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: ٩٦٦هـ)، دار صادر، بيروت.

٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٨- التعريفات: للإمام الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ بدون تاريخ.

٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١/ بدون تاريخ.

١٠- جريدة الشرق الأوسط، ع/٥١٦٥، ١٩٩٣/١/١٨م، مقال الأستاذ فهمي هويدي.

١١- حصاد الغرور: الشيخ محمد الغزالي، دار البيان، الكويت، ط ١/ ١٩٧٠ م.

١٢- دراسات في السيرة والتاريخ: ماذا وراء الهجوم على التاريخ الإسلامي: لمحمد ابن حامد الناصر، كتاب المنتدى، ١٤٢٣هـ.

١٣- ربحت محمد ولم أخسر المسيح: تأليف عبد المعطي الدالاتي، دار الشهاب، سوريا - دمشق، ط٣/١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٤- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط/بدون تاريخ.

١٥- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٦- سنن الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤٠٧ هـ.

١٧- السنن الصغير للبيهقي: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٨- السيرة النبوية: لعلي أبي الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير - دمشق، ط١٢/ ١٤٢٥ هـ.

١٩- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم، دمشق، ط٨/ ١٤٢٧ هـ.

٢٠- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣ / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢١- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ بدون تاريخ.

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط١/ ١٣٧٩ هـ.

٢٣- فتح القسطنطينية: عبد العزيز حامد: مجلة البيان (العدد ١٢٣٨): تصدر عن المنتدى الإسلامي.

٢٤- فصل المقال فيما بين العلمانية والماسونية من الاتصال: إعداد سامي عطا حسن، الدار السلفية، الكويت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٥- فقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين عبد الرؤوف المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١/ ١٣٥٦هـ.

٢٧- قادة الغرب: جلال العالم، دار الأرقم، عمان – الأردن، ط١/١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.

٢٨- القومية والغزو الفكري: محمد جلال كشك، مطابع دار الغد، الناشر مكتبة الأمل، الكويت، ط/ بدون تاريخ.

٢٩- لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١/ بدون تاريخ.

٣٠- لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم: للأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط ٢/ ١٩٦٥م.

٣١- المؤامرة ومعركة المصير: سعد جمعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/ ١٩٦٩م.

٣٢- ماذا وراء الهجوم على التاريخ الإسلامي: لمحمد بن حامد الناصر ، كتاب المنتدى، ١٤٢٣هـ.

٣٣- مجلة (الحوراء)، ص ٢٨ ٣١، ع/١٩، خريف عام ١٩٩٠م، مقال الأستاذ فهمي هويدي.

٣٤- مجلة البيان (٢٣٨ عددا): تصدر عن المنتدى الإسلامي، دراسات في السيرة والتاريخ.

٣٥- مجمع الزوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧ هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١/١٤٠٥هـ.

٣٦- مرصد الأحداث: أحمد فهمي: ١٠٠afahmee@albayan-magazine.com

٣٧- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣/١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

٣٨- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري،(ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

٣٩- المسلمون على مشارف القرن الواحد والعشرين: د. محمد طاهر حكيم، مجلة البيان (العدد ٢٣٨): تصدر عن المنتدى الإسلامي.

٤٠- مسند أبي يعلى: لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧ هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١/١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤٢- مسند البزار: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (ت٢٩٢هـ)، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١/١٤٠٩هـ.

٤٣- مصنف ابن أبي شيبة: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد، الرياض، ط١/١٤٠٩ هـ.

٤٤- المعجم الصغير: للطبراني: لأبي القاسم سلمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: محمود شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، الأردن، ط١/١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٥- المعجم الكبير: للطبراني: لأبي القاسم سلمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢/١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م.